

التأثير الأندلسي في المجالين السياسي والاقتصادي في المغرب الأدنى ما بين القرنين 7 إلى 9هـ / 13 إلى 15 م

بوعامر مريم

جامعة تلمسان

bouamermeriem010@gmail.com

تاريخ الإرسال: 05 / 07 / 2020؛ تاريخ القبول: 20 / 04 / 2023

Abstract:

Since the Islamic conquest, Maghreb has witnessed many historical and important events that have made its historical trajectory and varied from political, economic, social and cultural. This research deals with one of the most important of these, dealing with the issue of Andalusian migration and the influence of Andalusian immigrants in the political and economic fields. The exodus of Andalusians began first towards the south of Andalusia, and then some of them saw this displacement as a step to another exodus, so they moved to the Maghreb enemy immediately after their first exodus and the largest mass exodus took place in the 13th century, when Seville fell, where the number of displaced people reached hundreds of thousands and most of them settled in lower Maghreb.

Following the fall of Granada and the emergence of the Inquisition, the migration movement increased significantly and turned into mass migrations and reached a minimum in 971 Ah / 1512 A.D., and these numbers of immigrants contributed to the civilizational prosperity of the lower Maghreb thanks to the new knowledge and experience sought with them. The Andalusians contributed to the rebalancing and revitalization of the country's economy through their

many experiences of working in the field of agriculture when most of them settled in the northern regions, and many of them worked in industry such as the textile industry and economic activity is considered one of the activities that appealed to Andalusian immigrants compared to the previous two activities

Keywords: Andalusian immigrants; Lower Maghreb; 7th century AH; administrative jobs; economy.

الملخص:

لقد شهد المغرب منذ الفتح الإسلامي أحداثا تاريخية عديدة ومهمة صنعت مساره التاريخي وتنوعت هذه الأحداث من سياسية و اقتصادية واجتماعية و ثقافية ، وهذا البحث يتناول أحد أهم هذه فهو يعالج موضوع الهجرة الأندلسية وتأثير المهاجرين الأندلسيين في المجالين السياسي والاقتصادي . وقد بدأ نزوح الأندلسيين باتجاه جنوب الأندلس أولا ثم رأى البعض منهم أن هذا النزوح ما هو إلا خطوة لنزوح آخر لذلك انتقلوا إلى العدو المغربي فور نزوحهم الأول وأكبر عمليات النزوح الجماعية وقعت في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي عندما سقطت إشبيلية حيث وصل عدد النازحين إلى مئات الآلاف واستقر معظمهم بالمغرب الأدنى .

وعقب سقوط غرناطة وظهور محاكم التفتيش ازدادت حركة الهجرة بشكل ملحوظ وتحولت إلى هجرات جماعية وبلغت حدا أدنى في سنة 971هـ / 1512 م ، وقد ساهمت هذه الأعداد من المهاجرين في

الازدهار الحضاري للمغرب الأدنى بفضل ما حملوه معهم من معارف وخبرات جديدة وقد شمل هذا التأثير جميع الميادين وسنركز في هذا البحث على التأثير في المجالين السياسي والاقتصادي ، ففي المجال السياسي تقلد الأندلسيون عدة وظائف إدارية هامة كالوزارة والحجابه و الدواوين والقضاء أما في المجال الاقتصادي فقد ساهم الأندلسيون في إعادة توازن وتنشيط اقتصاد البلاد من خلال ما نقلوه من خبرات متعددة باشتغالهم في ميدان الزراعة عند استقرار معظمهم بالمناطق الشمالية ، كما اشتغل العديد منهم بالصناعة كصناعة النسيج ويعتبر النشاط الاقتصادي من أكثر الأنشطة التي استهوت المهاجرين الأندلسيين مقارنة بالنشطين السابقين .

الكلمات المفتاحية:

المهاجرون الأندلسيون ؛ المغرب الأدنى؛ القرن السابع الهجري
(13 م)؛ الوظائف الإدارية ؛ الاقتصاد .

مقدمة:

إن اضطراب الأوضاع السياسية بالأندلس واشتداد حروب الاسترداد النصرانية التي تعود جذورها لوقت مبكر دفع الكثير من المسلمين الأندلسيين إلى الهجرة نحو المغرب بصفة عامة والمغرب الأدنى بصفة خاصة والذي كان تحت حكم الدولة الحفصية (626 هـ/ 982 هـ-1229م/ 1547م) ،والإشكالية المطروحة في هذه الدراسة تتمحور حول ملامح التأثير الأندلسي في المغرب الأدنى خاصة في المجالين

السياسي و الاقتصادي وهل أتى المهاجرون الأندلسيون بمعارف
و خبرات جديدة وهل استفادت منهم الدولة الحفصية ؟
وللإجابة عن الإشكالية المطروحة لا بد من الوقوف على المصادر
التاريخية والمراجع المتعلقة بالموضوع ومقارنتها وتحليلها للتوصل إلى نتائج
حول محتوى البحث.

التأثير الأندلسي في المجال السياسي :

شهد المغرب الأدنى توافد العديد من المهاجرين الأندلسيين خاصة
مع مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي بسبب انهزام
المسلمين في معركة حصن العقاب سنة 609هـ/ 1212 م التي كانت
عاملا من عوامل تدهور الأوضاع السياسية وسقوط معظم مدن
الأندلس في يد النصارى وما صاحبه من تدهور في الأوضاع الاقتصادية
والاجتماعية ، إضافة إلى ظهور محاكم التفتيش التي ارتكبت أعظم
الجرائم في حق المسلمين .

وقد أسهم هؤلاء المهاجرون الأندلسيون بشكل واضح في الازدهار
الحضاري للمغرب الأدنى في مختلف المجالات الحضارية ففي المجال
السياسي كان للأندلسيين دور لا يستهان به و هذا منذ عهد الدولة
الحمادية حيث استعمل هؤلاء في عدة وظائف ونذكر على سبيل المثال
عائلة ابن حمدون في آخر عهد الدولة الحمادية (حساني مختار، 2007 :
259).

أما الدولة الموحدية فقد اعتمدت هي الأخرى على العناصر الأندلسية في الجوانب الإدارية وعلى نفس النهج سارت الدولة الحفيدة فقد شجعت الأندلسيين على تولي الوظائف الإدارية بعاصمتها أو الولايات التابعة لها ، وذلك راجع إلى العدد الكبير من المثقفين و الكتاب البارعين الوافدين عليها وقد حاولت هذه الدولة أن تستفيد من خبرتهم من جهة وأن تجعل منهم أداة توازن من جهة أخرى (رزوق محمد ، 1991 : 32 ، الطالبي محمد، 1975 : 57).

ومن أهم الوظائف التي تولوها الأندلسيون :

الحجابه والدواوين :

وجدت خطة الحجابه أو الوزارة في الأندلس منذ قيام الدولة الأموية بها ، وكان منصب الوزير في بادئ الأمر يشبه في مدلوله ما كان سائدا في بقية أنحاء العالم الإسلامي (عادل عبد العزيز ، د.ت : 53) وكذلك أشار ابن خلدون إلى بعض التفصيلات عن اختصاص كل وزير في الخطة فقال : ﴿ وأما دولة بني أمية بالأندلس فأبقوا أسم الوزير في مدلوله أول الدولة ثم قسموا خطته أصنافا وأفردوا لكل صنف وزيرا فجعلوا لحساب المال وزيرا و للترسيل وزيرا وجعل لهم بيتا يجلسون فيه على فرش منضدة لهم وينفذون أمر السلطان هناك كل فيما جعل له وأفرد للتردد بينهم و بين الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت فارتفع بمجلسه عن مجالسهم

وخصوه باسم الحاجب ولم يزل الشأن هذا إلى آخر دولتهم ﴿ (ابن
خلدون عبد الرحمان، ج1، 2007، 1: 247) .

ويفهم من هذا النص أن لقب الحاجب يعني رئيس الوزراء وهو
يتصل بالخليفة نيابة عن بقية الوزراء ، وفي عهد الخليفة عبد الرحمان
الناصر (300-350 هـ / 912-961 م) ظهر لقب جديد وهو لقب
﴿ذي الوزارتين﴾ والمراد به صاحب السلطتين المدنية والعسكرية (عادل
عبد العزيز، دت: 55) .

أما في بلاد المغرب فالملاحظ أن الدول الإسلامية الأولى التي
قامت به لم يظهر فيها هذا المنصب إلا باستثناء دولة الأغالبة ولما دانت
بلاد المغرب لسلطة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين عمل على
تطبيق النظام الإداري المتبع في الأندلس فأحدث منصب الوزير (عادل
عبد العزيز، دت: 56-57) ، وفي عهده وجد العديد من الأندلسيين
في البلاط المرابطي ومعظمهم شغل منصب الوزير أو الكاتب وقد عبر
المراكشي عن ذلك بقوله: ﴿ ولم يزل أمير المسلمين في إمارته يستدعي
أعيان الكتاب من جزيرة الأندلس وصرف عنايته لذلك حتى اجتمع
له منهم ما لم يجتمع للمك ﴾ (المراكشي عبد الواحد، 2006: 132) ،
أما بالنسبة للدولة الموحدية فقد أهملوا منصب الوزارة في بداية أمر
دولتهم ثم أولوه بعد ذلك أهمية قصوى (ابن خلدون عبد الرحمان،
ج1، 2007: 247) .

وقد شغل هذه الوظيفة عدد من الأندلسيين مثل ميمون الهواري الذي استعمله الخليفة عبد المؤمن بن علي وكان فقيها من سكان قرطبة (ابن صاحب الصلاة، 1946: 323)، وعلى نفس نهج الدولة الموحدية سارت الدولة الحفصية فعينت العديد من المهاجرين الأندلسيين في مناصب الحجابة والوزارة، ومن تولوا هذه المناصب نذكر: الرئيس أبا عبد الله محمد بن أبي الحسين بن سيد الناس الذي أسندت إليه مناصب عدة منها الحجابة في عهد أبي زكريا الأول (624-647 هـ / 1228-1249 م) وتمتع هذا الشخص بحظوة لدى أبي زكريا الحفصي إلى درجة جعلت شيوخ الموحدين يضيّقون بهم ذرعا (الطالبي محمد، 1975: 57)، ولما تولى المستنصر الحكم (647-675 هـ / 1249-1277 م) حاول إرضاء شيوخ الموحدين فعين محمد بن أبي مهدي الهنتاتي في وظيفة الحجابة ولكن ذلك لم يرض الموحدين فدبروا عملية انقلاب باءت بالفشل وأدت إلى تدعيم نفوذ الأندلسيين بإعادة أبي الحسين إلى مكانه والاعتماد عليه في تسير شؤون الدولة حتى أصبح مثالا يحتذى به لمن بعده ، وبهذا استفحل النفوذ الأندلسي في البلاط الحفصي وأصبح الأندلسيون من أهل الشورى (ابن خلدون عبد الرحمان، ج 6، 2000 : 402)، وفي عهد الخليفة الواثق (675 - 678 هـ / 1277-1279 م) تغلب على أمور الدولة الحفصية أندلسي آخر أصله من أعمال بلنسية وهو يحيى بن عبد الملك الغافقي المعروف بابن الجبر وقد قال عنه ابن خلدون : ﴿ واستبد أبو

الحسن بن الجبر على الدولة والسلطان وبعث أخاه أبا العلي واليا على بجاية وأسف المشيخة و البطانة بعتوه و استبداده وما يتجشمونه في مكابرة بابه ﴿ (ابن خلدون عبد الرحمان ؛ ج6 ، 2000: 433) .

ومن تولى الحجابة من الأندلسيين أيضا نذكر أبا عبد الرحمان يعقوب بن أبي بكر بن محمد بن عمر السلمي الذي قدم مع جالية شاطبة وولي بجاية وأستبد بها سنة 715هـ/ 1315 م واقتصر على ذكر السلطان في الخطبة واسمه في السكة إلى أن توفي سنة 719 هـ/ 1319 م (ابن خلدون عبد الرحمان ، ج6 ، 2000 : 483-484) كما كان لعائلته دور هام في تسيير شؤون الدولة الحفصية وأصلهم من الأندلس ينحدرون من بيوت مدينة شاطبة عرفا بأنهم من أهل العلم والقضاء (عادل عبد العزيز ، د ت : 273)

هذا فيما يتعلق بالحجابة ، أما فيما يخص الدواوين فقد وجدت في الدول الإسلامية بهدف تنظيم أمور الدولة في جميع النواحي ومن هذه الدواوين ديوان الرسائل والإنشاء يختص هذا الديوان بالمراسيم والرسائل الموجهة إلى الولاة والقضاة ويرأسه الكاتب ، وديوان المالية الذي كان موزعا بين أربعة دواوين وهي : ديوان الغنائم ونفقات الجند ديوان الضرائب وديوان الجباية وديوان الخراج كما كان هناك أيضا ديوان الجيش الذي كان يتفرع إلى ديوانين هما :ديوان العسكر الذي كان يختص بالجند النظامي والحرب والعبيد وديوان التمييز الذي يهتم

بتنظيم المشتركين في المعارك المقبلة والتنسيق بين الكتائب المختلفة)
حساني مختار، 2007: 62-63)

وقد اشتغل بهذه الدواوين في بلاد المغرب الأدنى عدد كبير من
المهاجرين الأندلسيين بالنظر لبراعتهم في الكتابة كما أجادوا الشعر
ومن هؤلاء نذكر: أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي
الشهير بابن الآبار ولد ببلنسية سنة 595هـ/ 1198 م ، برع في اللغة
والآداب وقد تولى قضاء دانية ثم تولى منصب الكتابة في بلنسية
للرئيس زيان بن ماردنيش، ولما سقطت بلنسية سنة 636 هـ/ 1238م
في يد النصارى كان إلى جانب أميره وقام بتحرير شروط التسليم
(الغبريني أبو العباس، 1981 : 257-259) ، ولم يطق ابن الآبار
البقاء في الوطن المنكوب فغادر الأندلس وعبر البحر إلى تونس فقربه
السلطان الحفصي أبو زكرياء إليه وولاه كتابة العلامة ثم أخذ يتردد
بين تونس وبجاية يدرس هنا وهناك، ولما توفي الأمير أبو زكريا سنة
647 هـ/ 1249 م وخلفه ابنه المستنصر التحق ابن الآبار بخدمته
ولكن نتيجة للدسائس والدعايات ضده استطاع خصومه أن يوقعوا به
(الغبريني أبو العباس، 1981 : 259-261) ، فقد نسبوا إليه أبياتا
من الشعر فيها طعن في السلطان ومنها هذا البيت :

طغى بتونس خلف سموه ظلما خليفة(ابن خلدون، ج6، 2000
:49) ، ولما وقع هذا البيت في يد السلطان المستنصر أمر بامتحانه ثم

قتله طعنا الرماح في شهر محرم 658 هـ/ 1260 م وبعدها أخذت كتبه وأحرقت في موضع قتله (عنان عبد الله، 1990 : 706).
ومن اشتغلوا بالدواوين أيضا محمد الخير المالقي (731-888هـ/
1427-1483م) أديب وشاعر هاجر إلى تونس سنة 864هـ/
1459م وتولى الكتابة لأمرها محمد بن أبي عمرو عثمان الحفصي
(بوشامة عاشور، 1991 : 577).

وفيما يخص ديوان الجيش فإن المصادر التاريخية تعوزنا تماما في
هذا الميدان فلم تشر إلى أسماء شخصيات أندلسية تولت هذا الديوان
، غير أن هذا لا ينفي أن المهاجرين الأندلسيين قد انخرطوا في الجيش ،
فقد أشار ابن خلدون إلى انضمام العديد من اللاجئين إلى صفوف
الجيش ويروي كيف ملئت عندها سواحل رودس بالمرابطة بجند
الأندلس و المطوعة زهاء أربعة آلاف فارس (ابن خلدون ، ج 6 ،
2000 : 668).

ورغم هذا الدور النشط الذي لعبته الجالية الأندلسية على
المسرح السياسي في المغرب الأدنى أيام الحفصيين لم يخل من الجوانب
السلبية فقد حاول الأندلسيون أن يفرضوا نوعا من الوصاية الحضارية
على تونس ، فكانوا يحتقرون أهل تونس ويزدرون ببلاطهم خاصة إذا
ما قاسوه ببلاطات الأندلس وما كان يسودها من أناقة وترف (رزوق
محمد ، 1991 : 34) كما كثرت السعاقات بين الأندلسيين والحفصيين
من جهة وبين الأندلسيين أنفسهم وذلك راجع إلى عدم شعورهم

بالمسؤولية وقد أشار محمد طالي إلى ذلك فقال: ﴿ إن فيما تقدم دلالة كافية على مدى انهيار سلم القيم وفقدان كل شعور بالمسؤولية ، فإذا ما استثنينا أبا عبد الله محمد بن أبي الحسن فإنه لم يرتفع أي أندلسي ممن خدم الحفصيين إلى مستوى رجل دولة بآتم معنى الكلمة ﴾ (الطالبي محمد ، 1975 : 63)، وقد أثرت هذه السلبيات على فقدان الأمن بالمنطقة وفقدان الوعي السياسي لدى هذه الجالية رغم ما حل بموطنهم الأصلي بسبب الدسائس والمؤامرات إلا أنهم لم يتعضوا بذلك ولم يعرضوا عن الصفات .(الطالبي محمد، 1975 : 63) .

ولاية القضاء:

لم يكن عمل الأندلسيين مقتصرًا على الحجابة و الكتابة فقط بل امتد إلى وظيفة القضاء فقد ولي عدد كبير من الأندلسيين ولاية القضاء في مختلف مدن المغرب ومن هؤلاء نذكر : أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمان الأزدي وهو من أهل مرسية والمعروف بابن برطلة استوطن بجاية وولي صلاة الفريضة بجامعها الأعظم ثم القضاء بالجزائر ثم حل بتونس في سنة 640هـ / 1242م وحج سنة 656 هـ / 1258م ، ثم عاد إلى تونس وأستقر بها حتى وفاته سنة 661هـ / 1262م .(الغبريني أبو العباس ، 1981 : 270-271 . بن مخلوف محمد، ج 1 ، 1949 : 146)،ومن ولي القضاء ببجاية أندلسيا آخر وهو أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن جيش اللخمي ولد بمرسية سنة 615 هـ/ 1218 م ولي قضاء مرسية وتنقل بين كثير من مدن الأندلس

والمغرب هاجر أولا إلى بجاية ثم إلى تونس وولي القضاء بها إلى أن توفي سنة 685 هـ/ 1278 م (المراكشي ابن عبد الملك، ج6، 1973 : 168).

ونذكر أيضا أبا عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن عبد الله الخزرجي الشاطبي الذي تولى القضاء عدة مرات بمختلف مناطق الدولة الحفصية وفي هذا الصدد يقول عنه الغبريني : ﴿ تخطط بخطة القضاء في غير ما بلد وكان أبوه قاضيا وبيتهم بيت علم وقضاء وتوارث سؤدده ، ثم قضى ببجاية فكان في قضائه على سنن الفضلاء و طريق الأولياء والعقلاء ... ثم انصرف عن بجاية فولي قضاء حاضرة افريقية فكان له فيها الظهور في أحكامه ﴾ (الغبريني ، أبو العباس، 1981 : 126-127) وقد غلب عليه التشدد في أمر الشهادة و الشهود فهو لا يسمح لمن تولى مهنة الإشهاد إلا من كان يتميز بكفاءته العلمية، كما لا يقبل أن يشهد أمام محكمته إلا من يتصف بالصدق (حساني مختار، 2007 : 263).

التأثير الأندلسي في المجال الاقتصادي :

مس التأثير الأندلسي الميدان الاقتصادي كذلك إلا إن المصادر لم تشر إليه إشارات واضحة كما قال الأستاذ طالي : ﴿ فنحن نتوجس هذا التأثير من دون أن نستطيع أن نلمسه لمسا حسيا ومفصلا مقدار وزنه أو نحدد بدقة مواطنه ﴾ (الطالي محمد، 1975 : 82).

ومن الملاحظات التي يمكن تسجيلها والتي ستعطي صورة تقريبية عن هذا التأثير وتتمثل في أن الفراغ الديمغرافي الذي كان أحد عوامل الهجرة نحو المغرب الأدنى تم سده وتجاوزه بقدوم المهاجرين الأندلسيين الذين ساهموا في إعادة توازن وتنشيط اقتصاد البلاد (رزوق محمد، 1991: 47) من خلال ما نقلوه من خبرات راقية ومتعددة أفادوا بها في مختلف الأنشطة الاقتصادية من زراعة وحرف وصناعات وتجارة.

إن النشاط الزراعي لقي اهتماما من قبل سكان المغرب والأندلس لتوفر شروط هذا النشاط بالمنطقة ومنها وفرة مصادر المياه و المتمثلة في الأمطار المتساقطة والأنهار دائمة الجريان والعيون والآبار، وقد ساعد هذا على زراعة الحبوب الواسعة، ضف إلى ذلك وفرة التربة الخصبة في السهول وأحواض الأنهار وعلى ضفاف البحار وتنوعها الشديد وافتقارها إلى التجانس أدى إلى اختصاص كل جزء بمحصول معين، كما أن تنوع المناخ من محيطي إلى متوسطي إلى قاري ساعد على تنوع الزراعة (سامعي إسماعيل، 2007: 13، مارمول كرنجال، 1984: 33-41).

إن توفر الشروط الطبيعية إضافة إلى الإمكانيات البشرية نتج عنه توفر وتنوع المحاصيل الزراعية الأندلسية و المغربية وعلى رأسها الحبوب حيث أن القمح أو الحنطة و الشعير الغذاء الرئيسي للسكان وفي هذا الصدد يقول الإدريسي: ﴿وأكثر غذاء أهل المغرب الحنطة﴾

(الإدريسي أبو عبد الله، 1983: 273) ومن أهم المناطق المنتجة للحبوب قرطبة وجيان ومرسية وغرناطة (الحميري أبي عبد الله، 1975: 70، المقدسي أبو عبد الله 1991: 234)، وأما في المغرب فقد تركزت زراعة الحنطة بإفريقية وباجة وبجاية والقيروان وتاهرت وتلمسان وفاس (ابن حوقل أبو القاسم، 1928: 75-86) ولم تقتصر المحاصيل الزراعية على الحبوب بل شملت الخضر بمختلف أنواعها كالكرنب واللفت والجزر و الباذنجان والبصل والثوم، كما انتشرت البساتين والجنات المنتجة لمختلف الفواكه ومنها السفرجل واللوز و الجوز والتفاح و الإجاص وغيرها (أبو المعاطي يحيى، 2000، 458-459) ومن أهم المزروعات بالعدوتين الزيتون فكانت مزارعه تغطي مساحات واسعة من الأراضي وقد تركزت زراعته بالنسبة للأندلس في جبل العروس شمال قرطبة وجبل الشرف باشبيلية (الحميري أبي عبد الله، 1957: 14-44-149) أما بالنسبة للعدوة المغربية فقد انتشرت زراعته بقرى القيروان و بجوار قرى تونس وبين الطريق الفاصل بينهما وكذلك تلمسان التي اشتهرت بالتين والرمان (أبو المعاطي يحيى، 2000: 455، بودواية مبخوت، 2005: 267)

وقد فرض هذا النشاط الزراعي الذي شكل عماد الاقتصاد الأندلسي على الأندلسيين المشغلين فيه الاهتمام بنظام الري وإنشاء الترع المتفرعة في كل الاتجاهات، كما أنشأوا القنوات المعلقة التي

تستخدم في توصيل المياه المتساقطة من عيون الجبال إلى السهول البعيدة وهو النظام الذي نقله المهاجرون الأندلسيون في عهد دولتي المرابطين والموحدين كما نقلوا بعض الزراعات كزراعة قصب السكر وزراعة أشجار التوت (عادل عبد العزيز ، د.ت : 173-175) وقد أقطعت الدولة الحفصية أراضي لأفراد الجالية الأندلسية على ضفاف وادي الصومام استغلوها لإقامة البساتين وتطوير نظام الري (حساني مختار، 2007 : 276) وبما لا شك فيه أن العديد من المهاجرين الأندلسيين اشتغلوا في ميدان الزراعة وخاصة أولئك الذين لا يمتلكون شروط العمل في الميادين الأخرى فقد لجأوا إلى العمل في المزارع أو حراسة البساتين (أحمد علي ، 2008 : 216) كما استقر معظمهم بالمناطق الشمالية الآمنة وقرب السواحل ومجاري المياه قصد استغلال الأرض بفضل خبراتهم في الزراعة والري وتنويع الإنتاج (الطالبي محمد ، 1975 : 82) ورغم براعتهم في هذا المجال إلا أنهم لم ينقلوا طريقة زراعية معينة لمنتوج معين أو لصنف من الأصناف النباتية على خلاف العهد المرابطي و الموحيدي الذي انتقلت خلاله زراعة مختلف فواكه الأندلس إلى المغرب (عادل محمد ، دت : 175 ، أحمد علي ، 2008 : 291) .

وأما في المجال الصناعي ظهرت ببلاد المغرب والأندلس صناعات متنوعة بفضل تنوع المواد الأولية وأشهر الصناعات التي لاقت رواجا بين الأندلسيين والمغاربة صناعة المنسوجات فقد أنتجوا أنواعا عديدة

من المنسوجات الحريرية والصوفية والكتانية والقطنية وذلك راجع لكثرة إنتاج الحرير عن طريق تربية دودة القز للاستفادة من حريرها ، وقد اشتهرت بذلك كل من قرطبة ومالقة ومرسية وألمرية (أبو المعاطي يحيى، 2000: 485) ، أما المغرب فقد انتقلت إليه تربية دودة القز من الأندلس منذ العهد المرابطي (عادل عبد العزيز، دت : 183) وقد اشتهرت بهذا النوع من الصناعة كل من قابس بإفريقية وقد قال عنها البكري واصفا حريرها بأنه أطيب حرير وأرقه (البكري أبو عبيد الله ، 1956: 17) وكذلك بجاية التي اشتهرت بإنتاج أنواع مختلفة من الصناعات النسيجية كصناعة الألبسة و العمامم والشواشي (بوتشيش آمنة ، 2009: 49) ، كما اشتهرت تلمسان أيضا بصناعة النسيج والملابس الصوفية وأقمشة من حرير وأيضا صناعة الزرابي ذات الطابع الأندلسي (المقرري شهاب الدين، ج4، 1988: 7)

وقد كان لقدوم المهاجرين الأندلسيين نحو المغرب دور في الارتقاء بهذا النوع من الصناعة التي لقيت اهتماما كبيرا من مختلف شرائح المجتمع وحتى النساء كانت هن مساهمات في صناعة النسيج وخاصة صناعة الزرابي التي كانت تتم داخل البيوت ،وقد اشتهرت مدينة تونس بهذا النوع وأيضا بالطربوش المغربي الذي وودت صناعته إلى تونس مع المهاجرين الأندلسيين واستمرت في أعقاب العائلات الأندلسية كما كانت توضع علامة الخيط الأسود بداخل الطربوش تعبر عن هوية صاحب الصنعة وامتيازه (بوشامة عاشور،

1991 : 393-394) كما ازدهرت أيضا صناعة الشاشية التي كانت موجودة في تونس بصورة جزئية ثم ازدادت تطورا إثر قدوم المهاجرين الأندلسيين خلال القرن الثامن الهجري (برنشفك روبر، 1988، :242).

ومن الصناعات التي مسها التأثير الأندلسي الصناعة الخزفية والتي عرفت معظم مناطق المغرب والأندلس واهتمت بها كثيرا باعتبارها من إحدى متطلبات الحركة العمرانية التي شهدتها البلاد والمتمثلة في بناء المساجد والقصور والمنازل (عادل محمد، دت : 176) وقد عرفت منطقة المغرب الإسلامي هذا النوع من الصناعة منذ العهد الحمادي وخاصة مدينة بجاية وقد زاد الإنتاج الفني في العهد الموحيدي والحفصي و امتزج بالفنون المشرقية والأندلسية (بوتشيش آمنة، 2009 : 50)، ومن مظاهر هذا التأثير دخول صناعة الزليج إلى تونس منذ القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي تحت تأثير الأندلسيين، ومن مارس هذه الصناعة في تونس الولي الصالح سيدي قاسم الزليجي، وأهم مراكز هذه الصناعة قفصة وسوسة (برنشفك روبر، 1988 : 242-243) كما انتشرت أيضا الصناعة الجلدية بقرطبة ولكنها تلاشت في العصر الموحيدي وتصدرت مكانها بجاية التي برع أهلها في صناعة الأحذية مختلفة الأشكال (أحمد موسى عز الدين 1983 : 230) ولاشك أنها قد ازدادت تطورا بقدوم المهاجرين الأندلسيين بهذه المنطقة، كما استقر البعض منهم في تلمسان عاصمة

الدولة الزيانية وبرعوا في صناعة الأحذية والسروج والسندال والطبول
والدفوف (بلعربي خالد، 2005 : 169).

أما فيما يخص التجارة فقد كان للتبادل التجاري بين دول المغرب
والأندلس خاصة في ظل الوحدة السياسية التي جمعت بين العدوتين في
عهد المرابطين والمرابطين والمرابطين والمرابطين أثر فعال في تكثيف الاقتصاد المغربي و
توسيع موارده و مصادره وقد ازدهر هذا التبادل التجاري بين
العدوتين بفضل وجود الموانئ الكبرى التي لعبت دورا هاما في انتعاش
الحركة التجارية بنقل السلع المتبادلة ومن أهمها في الأندلس ألميرية
ومالقة والمنكب أما في المغرب الأدنى فمن أهمها المهدية وتونس وبجاية
، وقد استقبلت هذه المدن العديد من المهاجرين الأندلسيين كما كانت
موانئها مقصدا للتجار الأندلسيين وغيرهم ، ويعتبر النشاط التجاري
من أكثر الأنشطة الاقتصادية التي استهوت المهاجرين الأندلسيين
مقارنة بالنشاطين السابقين و السبب في ذلك راجع إلى عاملين أولهما
أن التجارة كانت أكثر الحرف عودا على أصحابها بالأرباح الطائلة
بينما كانت الفلاحة حسب تعبير ابن خلدون من معاش المستضعفين
وأهل العفية من البدو (ابن خلدون، ج1، 2007: 398) وثانيهما
معرفة المهاجرين بالمسالك التجارية وخبرتهم بالبلاد المسيحية التي
تجري معها المبادلات أهلتهم للغوص في هذا المجال ومن بين هؤلاء
المهاجرين الأندلسيين الذين اشتغلوا في التجارة الحاج أبو القاسم
البنولي الغرناطي الأندلسي الذي استقر بتونس ومارس التجارة

حيث صار تاجرا عظيما وارتقى إلى رتبة كبير التجار (الطالبي محمد ،
دت : 82) ، والجدير بالذكر أن المبادلات التجارية لم تتأثر بالصراع
السياسي بين دول المغرب فقد كانت القوافل التجارية تتمتع بالأمن
وتنتقل من بجاية نحو تلمسان عامة الدولة الزيانية ثم تتجه إلى فاس
عاصمة الدولة المرينية، كما نشطت الحركة التجارية مع السودان الغربي
فانتقلت القوافل التجارية نحو الواحات الصحراوية ومنها إلى السودان
الغربي وكانت تعود محملة بالذهب والعاج والعبود (حساني مختار،
2007 : 286)

وقد كانت الدولة الحفصية تميل في معاملاته الاقتصادية إلى
المشرق الإسلامي وخاصة الإسكندرية وإلى الأندلس ويفسر ابن
خلدون ذلك بحكم القرب الجغرافي بين مصر وتونس ثم بحكم الجلاء
من شرق الأندلس خاصة في المائة السابعة (ابن خلدون ، ج1،
2007 : 407) ولم تقتصر عمليات التبادل التجاري على الدول
المذكورة بل شملت أيضا الدول الأوروبية وخاصة مملكة أراغون ،
ومما سهل تلك العمليات وجود الفنادق التي استقبلت تجار أراغون في
مختلف أنحاء الدولة الحفصية ومنها بجاية فقد أشارت إحدى الوثائق
التي تناولت الوجود المسيحي ببجاية أن أقدم فندق بها يرجع إلى سنة
656هـ / 1259 م وكان يضم مجموعة من التجار الأراغونيين (حساني مختار،
2007 : 286) .

الخاتمة:

ومما يمكن استخلاصه عموما أن الهجرة الأندلسية ضمت في صفوفها أعدادا كبيرة من الأدباء والعلماء والفقهاء إضافة إلى عمال الزراعة والحرفيين والمعماريين وقد ساهم هؤلاء المهاجرون بمختلف فئاتهم في الازدهار الحضاري للمغرب الأدنى فمنهم من دخلوا إلى البلاط الحفصي واتصلوا مباشرة بأمراء الدولة الحفصية وأصبحوا من ذوي الرأي والمشورة ، ومنهم من شغل مناصب مهمة في الدولة بتشجيع من الحكام الحفصيين ومن أهم هذه المناصب الحجابة والكتابة والقضاء وأصبحوا بهذا يمثلون النخبة السياسية و الدبلوماسية في المجتمع الحفصي والفئة المسيطرة على دواليب الحكم والاقتصاد واستطاعوا امتلاك ثروات طائلة واختصوا ببعض الحرف و الصناعات كصناعة الجلود و الصناعة النسيجية كما اهتم أغلبيتهم بالتجارة .

ويبقى موضوع التأثير الأندلسي مجالا خصبا للدراسة والبحث من خلال التطرق لوجهات أخرى هاجر إليها مسلمو الأندلس كالمغرب الأقصى والأوسط وحتى بلاد الشام .

قائمة المراجع:

- ابن عبد الملك المراكشي أبو الحسن أحمد ، (1973)، الذيل والتكملة لكتاب الموصل والصلة ، القسم السادس ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة .
- ابن حوقل أبو القاسم محمد النصبي، (1928). صورة الأرض، الجزء الأول، بيروت : دار صادر .

- ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان بن محمد ، (2007) ، المقدمة ، بيروت ، دار
الفكر العربي للطباعة والنشر .
- ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان بن محمد ، (2000) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر
في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، الجزء السادس
، تحقيق : خليل شحادة سهيل زكار ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الفكر العربي .
- ابن صاحب الصلاة ، (1964) ، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله
أئمة وجعلهم الوراثين ، تحقيق: عبد الهادي التازي ، بيروت .
- أبو المعاطي محمد عباس يحيى ، (2000) . الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب
والأندلس 238-488هـ / 852-1095 م . رسالة دكتوراه في التاريخ
الإسلامي ، جامعة القاهرة - مصر .
- أحمد موسى عز الدين ، (1983) ، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي
خلال القرن السادس الهجري ، بيروت ، دار الشروق .
- الإدريسي أبو عبد الله الشريف ، (1983) ، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس ،
تحقيق : إسماعيل العربي ، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية .
- برنشفك روبر ، (1988) ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصني من القرن 13 إلى
15 م ، ترجمة حمادي الساحلي ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار
الغرب الإسلامي .
- البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز ، (1965) ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية
والمغرب ، باريس ، نشر دي سولان .
- بلعربي خالد ، (2005) ، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان ، الطبعة
الأولى ، مطبعة تلمسان .

- بوتشيش آمنة ، (2008) ، بجاية دراسة تاريخية وحضارية ما بين القرنين 6 إلى 7 هـ / 13 إلى 15 م ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، قسم التاريخ ، جامعة تلمسان ، الجزائر .
- بودواية مبخوت ، (2005) ، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي خلال عهد بني زيان ، دكتوراة دولة في التاريخ الإسلامي ، جامعة تلمسان ، الجزائر .
- بوشامة عاشور ، (1991) ، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس 626 - 981 هـ / 1288 - 1573 م ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مصر .
- حساني مختار ، (2007) ، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية مدن الشرق ، الجزء الثالث ، الجزء الثالث ، الجزائر : دار الحكمة .
- الحميري أبي عبد الله محمد عبد المنعم ، (1975) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت : مكتبة لبنان .
- رزوق محمد ، (1991) ، دراسات في تاريخ المغرب ، الطبعة الأولى : مطبعة إفريقيا الشرق .
- سامعي عادل إسماعيل ، (2007) ، تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي ، الطبعة الأولى ، قسنطينة ، منشورات مكتبة اقرأ .
- الطالبي محمد ، (1975) ، الهجرة الأندلسية إلى إفريقيا يام الحفصيين ، مجلة الأصالة ، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ، الجزائر ، العدد 26 ، ص.ص : 50-82 .
- عاذل عبد العزيز محمد ، (د ، ت) ، الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية ، القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر .

- علي أحمد، (2008) ، الأندلسيون في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، دمشق : منشورات اتحاد الكتاب العرب .
- عنان عبد الله ، (1990) ، دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين ، القسم الأول ، القاهرة ، مكتبة الخانجي .
- الغبريني أبو العباس أحمد ، (1981) ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق : رابح بونار ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .
- كرنجال مارمول ، (1984) ، إفريقيا ، ترجمة : محمد حاجي وآخرون ، الجزء الأول ، الرباط ، مكتبة المعارف الجديدة .
- مخلوف محمد بن محمد (1949) ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، بيروت ، دار الكتاب العربي .
- المراكشي محي الدين عبد الواحد ، (2006) ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، الطبعة الأولى ، بيروت ، المكتبة العصرية .
- المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد ، (1991) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مطبعة مدبولي .
- المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ، (1988) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، الجزء الثاني ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر .